بحث تاريخي

دير القديس أبوللو بباويط
(٢)

الأستاذة الدكتورة/ شيرين صادق الجندي
أستاذ الآثار والفنون القبطية
ورئيس قسم الإرشاد السياحي بكلية الآداب – جامعة عين شمس

المباني المعمارية بالدير:

الشكل رقم (٣) ما تبقى من عمارة دير القديس أبوللو بباويط

ويتكون هذا الدير من كنيستين رئيسيتين: الشمالية والجنوبية **(الشكل رقم ٣)**. والكنيسة الشمالية بازيليكية الطراز أي مستطيلة الشكل وتتكون من ثلاث بلاطات، تعتبر الوسطى منها أكبرها. ويفصل هذه البلاطات بائكتان. وتتكون كل بائكة منها من ثلاثة أعمدة من الحجر الجيري، وكلها ذات تيجان كورونثية. وتتميز أعمدة هذه الكنيسة بأنها شاهقة الارتفاع حيث يصل ارتفاعها إلى سبعة أمتار تقريبًا غير أن مبانيها المشيَّدة من الطوب الأحمر واللبن أقل جودة من باقي مباني هذا الدير. وتظهر على الجدران الداخلية لهذه الكنيسة رسومات جدارية لبعض أنبياء العهد القديم مثل **داوود David** **وزكريا Zachariah** الذي يمسك مبخرة في يده. وكذلك يمكن رؤية منظر حلم **يوسف Joseph**. وتوجد أيضًا رسومات من الفريسك تمثل مراحل مختلفة من حياة السيدة مريم العذراء والطفل يسوع مثل منظر الميلاد والذي يظهر فيه الرعاة والمجوس والملائكة. وتتضمن الرسومات الجدارية بهذه الكنيسة كذلك أشكال آدمية لرئيس الملائكة غبريال والقديسين جرجس وبطرس.

أما الكنيسة الجنوبية لدير القديس أبوللو بباويط، فقد زُخرفت حوائطها الداخلية وحناياها وأعمدتها برسومات من الفريسك تضمنت موضوعات دينية من الكتاب المقدَّس، لا سيما تلك التي تتعلَّق بأنبياء العهد القديم، بالإضافة إلى مناظر ميلاد السيد المسيح وعماده في نهر الأردن، إضافة إلى بعض الأشكال الآدمية لبعض القديسين مثل الأنبا أبوللو **وأنوب Anub**.

وعَثَر علماء الآثار أيضًا على قلايات ومنشوبيات خارج أسوار دير القديس أبوللو في الناحية الغربية منه. وكلمة منشوبية هى كلمة قبطية تشير إلى بيت الراهب. وهي أكبر وأعم في معناها من القلاية.

مكتشفات الدير الأثرية:

وقد ازدهر دير القديس أبوللو بباويط في القرنين السادس والسابع الميلادي دينيًّا وروحانيًّا ومعماريًّا وفنيًّا. كما شيَّد تجمعًا رهبانيًّا كبيرًا للراهبات فوق قمة الجبل. وعثر على رسم جداري من الفريسكو للقديسة **راحيل Rachelle** التي كانت تدير هذا التجمع في القرن السادس الميلادي.

وفى الكنيسة الشمالية، عثر على بعض التحف الأثرية الهامة لا سيما بعض الحشوات الخشبية المزينة بزخارف نباتية مختلفة وأخرى هندسية بديعة، إلى جانب تاج عمود حجري تزخرفه أوراق الأكانتس المحورة. وهو التاج الوحيد المتبقي بالكنيسة الشمالية للدير. كما عُثِر مؤخرًا في هذه الكنيسة على حشوتين خشبيتين من القرن السابع الميلادي محفوظتين حاليًّا بالمتحف القبطي بالقاهرة. على واحدة منها نقش لشكل رئيس الملائكة ميخائيل يحمل سيفًا ودرعًا وهو يقف بداخل حنية نصف دائرية. وعلى الحشوة الخشبية الثانية، نقش لشكل رئيس الملائكة غبريال ممسكًا بعصًا طويلة وشكل دائري ربما يرمز إلى قبة السماء.

كما اكتشفت في الكنيسة الجنوبية للدير أطلال حجرية كأفاريز وأعمدة وتيجانها الكورونثية وواجهات وبوابات حجرية تغطيها الزخارف النباتية المتناسقة وبالأخص نبات البردي المحفور حفرًا بارزًا والكتابات القبطية واليونانية. كما وجدت أواني فخارية

وعملات كثيرة في الكنيسة الجنوبية لهذا الدير.

الشكل رقم (٤) حنية من القرن ٦-٧م بالمتحف القبطي بالقاهرة

ومن أهم مكتشفات الكنيسة الجنوبية بدير القديس أبوللو بباويط، توجد حنية أو شرقية (حضن الآب) من الفريسك حاليًا بالمتحف القبطي بالقاهرة (**سجل رقم ٧١١٨**) وزعت زخارفها على مستويين، وهي مرمَّمة حديثًا (**الشكل رقم ٤**). ففي المستوى العلوي، يظهر السيد المسيح ضابط الكل داخل هالة المجد على العرش وهو يمنح البركة بيمناه ويمسك في يده اليسرى الكتاب المقدَّس مفتوحًا، وتظهر بداخله الكلمة القبطية agios وتعنى قدوس أو تقدس أو قديس. وتحيط برأس السيد المسيح هالة نورانية صفراء كبيرة الحجم يزينها صليب. ويحيط به مخلوقات سفر الرؤيا الأربعة: الأسد والثور والنسر والإنسان. ويظهر كل من رئيسَي الملائكة ميخائيل وغبريال يمينًا ويسارًا من ثلاثة أرباع. وقد دُوِّن اسم كل منهما على الخط الأحمر الفاصل بين زخارف نصفي الحنية. وفي المستوى السفلي للحنية، تجلس السيدة مريم العذراء وهي تحمل الطفل المسيح الذي يمنح البركة بيده اليُمنى، وبيده الأخرى يمسك لفة بردي مُغلقة. ويحيط بهما يمينًا ويسارًا تلاميذ السيد المسيح الاثنا عشر بالإضافة إلى اثنين من القديسين المحليين.

وكتب اسم كل تلميذ باللغة القبطية أعلى رأسه. ويرتدي التلاميذ ملابس واسعة بألوان مختلفة. ويُرى كل واحد منهم واقفًا وحاملًا كتابه في كلتا يديه. والمدقق في هذا الرسم الجداري، يلاحظ أن جميع وجوه القديسين مرسومة بعناية ودقة فائقة وهى تختلف من قديس لآخر. وحرص الفنان على رسم كل تفاصيل الشعر واللحية والشارب وملامح الوجه بمهارة واضحة. ويظهر القديس بطرس وهو يمسك مفتاحًا في يده. ويكتنف هذه الحنية عمود على اليمين وآخر على اليسار. ويزين الإطار الخارجي للجزء العلوي من الحنية شريط كتابي باللغة القبطية. أما على الإطار الداخلي، يتوالى ظهور رؤوس آدمية بشعر قصير محاط بهالات نورانية.

الشكل رقم (٥) رسم جدارى من القرن ٦-٧م بالمتحف القبطي بالقاهرة

وعلى رسم جداري آخر عُثر عليه في نفس الدير وهو من مقتنيات المتحف القبطي بالقاهرة، تتمثل الزخارف في ظهور النصف العلوي لجسد السيد المسيح داخل إكليل نباتي يمسك به اثنين من الملائكة المجنحة رسمت ملامح وجههما طبقًا لسمات الفن القبطي بينما تظهر ملامح السيد المسيح وفقًا لسمات الفن البيزنطي (**الشكل رقم ٥**). فنراه بشعر طويل ينسدل على كتفيه ووجه طويل وفم صغير وذقن قصير ومهذب. وتظهر الكلمة القبطية ⲡⲥⲱⲧⲏⲣ أي "المخلص" أعلا الإكليل النباتي الذي يشير إلى انتصار السيد المسيح والكنيسة. وأعلا رأس كل ملاك، توجد الكتابة اليونانية αγγελος κυριου وترجمتها " ملاك السيد". وفي أقصى يمين السيد المسيح، يمكن رؤية النصف العلوي للشهيد سلوانس داخل جامة أو إكليل يعلوه ما يقرب من ثلاثة سطور من الكتابات القبطية على هذا الرسم الجداري المرمم حديثًا.

وفي المتحف القبطي بالقاهرة، يوجد رسم جداري آخر (**رقم سجل ١٢٠٩٠**) رسم جداري نصف دائري يظهر في زخرفته أشكال آدمية لثلاثة قديسين يجلسون على أريكة:

أبوللو وفيب وأنوب طبقًا لبقايا الكتابة القبطية المدونة بالمداد الأسود أعلى رؤوسهم (**الشكل رقم ٦**). كما يوجد اثنان من القديسين الفرسان على ظهور جيادهما. ويرفع كل فارس كلتا يديه في وضع العابد **Orant** أو وضع الصلاة. وفي زخارف هذا الرسم الجداري الذي نفذ بأسلوب التمبرا، تتجلى التأثيرات الفنية التي كانت شائعة في تلك الحقبة التاريخية في كل من الإسكندرية والقسطنطينية.

الشكل رقم (٦) رسم جدارى من القرن ٦-٧م بالمتحف القبطي بالقاهرة

وفي قاعة المعروضات القبطية في متحف اللوفر بباريس، توجد أيقونة صغيرة تتضمن زخرفتها أشكال آدمية للسيد المسيح وبجواره القديس مينا **Saint Minas Abbot of the Monastery of Saint Apollo** الذي كان رئيسًا لدير القديس أبوللو في باويط (**الشكل رقم ٧**). ويقف كل منهما من الأمام وحول رأسه هالة نورانية كبيرة وإن كانت هالة السيد المسيح أكبر ويزينها صليب. ويمتد ذراع السيد المسيح خلف ظهر وعلى كتف القديس مينا مما يعكس مكانة القديس لدى السيد المسيح الذي يقربه منه باهتمام ويحتويه ويرعاه كرعايته لسائر المسيحيين. ورسم مونوجرام السيد المسيح بالمداد الأسود بين الهالتين. وعلى يسار وجهه، كتبت كلمة المخلّص **ⲓⲱⲧⲏⲣ**. وعلى يمين رأس القديس مينا، توجد كتابة قبطية قصيرة تحتوي على اسمه ومنصبه في الدير. وبصفة عامة، يظهر تأثير

الشكل رقم (٧) أيقونة صغيرة من القرن ٦-٧م في متحف اللوفر بباريس

الفن البيزنطي على الملابس الطويلة والواسعة وفي زخارف غلاف الكتاب المقدس الذي يحمله السيد المسيح وأيضًا في تفاصيل شعره الطويل وملامح وجهه. كما تبدو جليًّا تأثيرات مدرسة باويط الفنية في رسم الشعر القصير للقديس مينا وفي استدارة جبهته من أعلى وعينيه شديدة الاتساع.

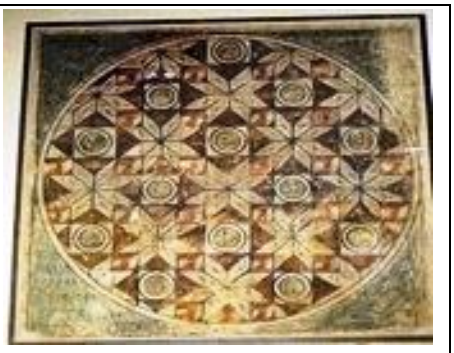

الشكل رقم ٨. رسم جدارى من القرن ٦-٧م بالمتحف القبطي بالقاهرة

ومن أهم الرسومات الجدارية التي عثر عليها في دير القديس أبوللو في باويط والمعروضة حاليًا في المتحف القبطي بالقاهرة رسمان جداريان كل منهما مربع الشكل. ونُفِّذ كل منهما بأسلوب التمبرا وقوام زخرفتها مربعات ومعينات ودوائر متداخلة أو مثمنات أحيط بها زخارف نباتية بسيطة (**الشكلان رقم ٨-٩**).

الشكل رقم ٩. رسم جدارى من القرن ٦-٧م بالمتحف القبطي بالقاهرة

الخاتمة:

مما سبق، يعتبر دير القديس أبوللو الأثري والمكتشف في مطلع القرن العشرين خلال الحفائر الأثرية التي قام بها علماء البعثة الأثرية الفرنسية **مدرسة معمارية وفنية متميزة ومتفردة** تتجلى فيها بوضوح سمات معمارية وسمات فنية قبطية أصيلة وجميلة من العصور المسيحية المبكرة في مصر في مختلف مباني الدير وحجراته وممراته ومقاصيره وقلاياته وأيضًا في المنشوبيات التي عُثِر عليها خارج جدرانه. وترجع أغلب التحف الأثرية والفنية التي عُثِر عليها في هذا الدير إلى القرن السادس – السابع الميلادي وزخارفها تحمل في طياتها تأثيرات الفنون البيزنطية. وهي تتيح للأحفاد فرص التعرف على تراث الأجداد. كما أنها خير شاهد على أصالة وروعة حضارة نشأت وازدهرت على ضفاف النيل من الشمال إلى الجنوب واستحقت بجدارة فخر واعتزاز المصريين بها.